الباب الخامس
في مكاشفات اتفقت له

فمن ذلك أني كنت في حالة الصغر قرأت سيرة البطال ثم أخذت أقرأ غيرها من الحكايات ولم يطلع على ذلك أحد من الطلبة فقال لي : يا خليل من أعظم الآفات السهر في الخرافات ؛ فعلمت أن الشيخ علم بحالي فانتبهت من ذلك الحين .

ومن ذلك أني لما قرأت عليه ابن الحاجب ولم يبق إلا الفرائض ، فطلب والدي مني أن أسافر إلى الريف ، وكان السفر عليَّ ثقيلا ؛ فذهبت لسيدي الشيخ فقال لي : أطع والدك ؛ فحينئذ [٢٨/ ب] انشرحت للمرواح .

ثم كان عندنا شيء متيسر فقلنا نعمله شيئا للطلبة قبل أن أروح ؛ فذهبت له وقلت له : يا سيدي القصد أن تكونوا غدا عندنا .

فقال : الطلبة يروحون وأما أنا فلا .

فطلبت منه ذلك فأبى ؛ فجئت لوالدي وقلت له ما ذكره الشيخ ؛ فقال : لو قلت له عني لأتى ، ولكن اذهب أنت لأخي الفقيه الأجل إبراهيم فقل له عني .

فذهب فهو في نصف الطريق وإذا به آت فقال له : يا سيدي كنت آتيا لك ؛ فقال : علمت ولذلك جئت ؛ فجاء ودخل على الوالد وسلم عليه ثم قال له والدي : يا سيدي ما تكون غدا عندنا فأظهر الامتناع .

فقال الوالد : لا نشق عليك إن شئت أتيت وإلا فلا .

ثم عملنا للطلبة شيئا فحرَّض الشيخ الجماعة على الإتيان حتى ذكر لي الفقيه الصالح نور الدين السخاوي[١] أنه قصد التأخير ؛ فقال له الشيخ : هذا الرجل يحب الإتيان إليه .

ثم سبق سيدي الشيخ الجماعة وأكل قبلهم وبعدهم ؛ ورأيت منه انشراحًا .

فقال الوالد ~ تعالى : إنما قصد الشيخ أن يظهر عدم المجيء أولًا خيفة من التكلف .

وكان الوالد ~ تعالى من الأولياء الأخيار وكان صاحب جماعة من الأخيار مثل سيدي الشيخ وسيدي الشيخ العارف بالله تعالى أبي عبد الله ابن الحاج ، وكان الشيخ ~ تعالى يأتي إليه ويزوره .

ومن مكاشفات الوالد أني قلت له يوما [٢٩/ أ] وهو ضعيف منقطع يا والدي سيدي أحمد ابن سيدي الشيخ أبي عبد الله بن الحاج ضعيف على موت :

فقال : سيدي أحمد لا يصيبه المرة شيء ، ولكن سيدي محمد أخوه قد مات .

فذهبت فوجدتهم كما رجعوا من دفنه ولم يكن قد جاء أحد أعلمه بذلك .

ومن ذلك ما ذكره لي بعض الأصحاب الأخيار قال : لما كنت والأخ مسافرين أرسل والدك خلفي وقال لي : اذهب فعز الشيخ في صهره عبد الرحمن ؛ فذهبت فوجدت الناس يعزونه .

---

(١) على بن عبد النصير بن على بن عبد الخالق السخاوى نور الدين المالكى المتوفى سنة ٧٥٦هـ . شيخ المالكية في وقته كان مصاحبا لشيخو تولى قضاء المالكية ٧٢ يوما ثم وافته المنية . ترجمته في الدرر ، لابن حجر : ٤/ ٩٣ .

وبلغني أن سيدي الشيخ كان جالسا بين الطلبة فقال وقت خروج روح عبد الرحمن : لا إله إلا الله ، كان عبد الرحمن فيه خدمة للفقراء .

فكان ذلك أيضا من مكاشفاته .

ومن مكاشفات سيدي الشيخ ما أخبرني به العبد الفقير إلى الله تعالى قاضي المسلمين محمد تاج الدين المالكي [١] الناظر في الحكم العزيز بمصر والقاهرة وكان عمه حينئذ هو القاضي وبه ضعف وقد قصد تاج الدين السفر إلى مكة زادها الله شرفا فأرسل إليه مبشره وعرض له بأمر المنصب فقال : المنصب له ويذهب ويجيء ويجد عمه ؛ فكان ذلك .

وكذلك أخبرني أن الأمير المقر الأشرف شيخو قصد أن يجتمع بالشيخ فعلمت ذلك فأرسلت له وقلت له : ينبغي أن يوصيه إذا اجتمع به [٢] ؛ فقال : ما يحتاج والتولية حصلت ؛ وكان كذلك .

وكذلك أخبرني هو وغيره أن الشيخ الصالح [٢٩/ ب] زين الدين القليوبي لما توفي كان بمسجد قريب منهم ولم يطلع أحد على موته غيرهم وأنهم أرسلوا قبل إطلاقه شخصا ليذكر عند بعض من له الكلمة أن له أولاد عم قال فخرجنا فوجدنا الشيخ جالسا وحده فعلمنا أن الشيخ علم بموته ثم قال : نفعكم الله تعالى بمثل هذا الرجل قال ثم سرنا على بغال مسرعين إلى القبر فوجدنا الشيخ قد سبقنا وهو جالس مرتاط [٣] .

---

(١) أي ابن شاهد الجمالي وقد تقدمت ترجمته .

(٢) أي ذكر تاج الدين للشيخ أن يوصي شيخو فأخبره أنه غير محتاج لذلك وقد حصل له المنصب وذلك قبل حدوثه .

(٣) في النسخة الأخرى مرتاض ، ولعلها من الرياط جمع ريطة وهي : كل ملاءة غير ذات لفقين أي :=

ومن ذلك ما أخبرني به غير واحد من الطلبة أن الشيخ يعطيهم وقت فروغ ما بأيديهم واحتياجهم قال بعضهم : ولم يزل الشيخ يعطيني إلى أن جاء إلي شيء ولم يعلم به أحد فترك الشيخ إعطائي وأعلمني أن سبب ذلك ما وصل لي .

ومن ذلك ما حدثني به الفقيه الصالح الشهير بابن درة ، كان هجانًا بمنوف فجاء لسيدي الشيخ وقرأ عليه واشتغل ثم واظب في التربة فكان سيدي الشيخ يمد للفقراء أسماطا كما تقدم قال : فقلت في نفسي : لعلي أذهب إلى القاهرة وأعمل بيدي وأشتري بذلك حلاوة ونحوها ولا أعلم الشيخ قال : فلما عزمت على ذلك وقصدت الذهاب في الغد قال لي سيدي الشيخ تلك الليلة : يا أحمد تقرأ درسك فقلت نعم .

فقال لي : اصبر حتى أحكي لك هذه الحكاية وذلك أنه كان بعض الطلبة جاء لبعض المشايخ فكان إنما [٣٠/ أ] يطعمه مع الفقراء والطلبة فأحب أن يذهب ويعمل وليأكل بعض الشهوات فذهب فعمل في بعض المواضع فاتفق أنه عمل في طاحون وأمسى عليه الليل فلم يجد فيها إلا الدواب وشيخا نصرانيا فأنكر ذلك الطالب وقال : ما هذا الحال تبدل شيخي بهذا النصراني وتبدل إخواني الطلبة والفقراء بهذه الدواب فتاب ولم يعمل .

قال : فقلت : يا سيدي وأنا تبت ـ أو كما قال .

ومن ذلك ما ذكره لي الفقيه الصالح علي نور الدين الخطيب قال ذكر لي

= لم يضم بعضه ببعض بخيط أو نحوه كلها نسج واحد وقطعة واحدة ، أو كل ثوب لين رقيق . انتهى من تاج العروس : ١٩/ ٣١٧.

شيخي الشيخ الصالح الزاهد المقري ابن مجير[١] قال : بت ليلة وليس معي شيء أتعشى به أنا ولا العيال فأنا مفكر فيما أعمل وأي شيء أفعل وإذا بسيدي الشيخ جاء إلي وألقى إلي شيئا اكتفيت به .

ومن ذلك ما حدثني به بعض الفقراء قال : قيل لي : إن الشيخ في المكان الفلاني قال : فقلت : أذهب إليه وأسأله قميصا . قال : فذهبت إليه فبمجرد ما تقربت منه قال لي تعال خذ القميص . ـ أو كلاما هذا معناه .

وحكى لي بعض العدول الأخيار مثل هذا عن بعض القزازين الأخيار .

ومن ذلك ما حدثني به الشيخ الصالح عبد الله الصنهاجي وهو من جملة أصحاب سيدي الشيخ الكبار قال لي مبارك الأخلاطي وهو من جملة أهل الخير المحبين للفقراء قصدي أن أعمل للشيخ دلقا[٢] قال [٣٠/ ب] ففصله وعمله ثم قال له خذه وديه لسيدي الشيخ وقل له أني وقفته عليه ؛ وكان قصده بذلك بقاؤه على سيدي الشيخ .

قال فجئت إليه وقلت : إن فلانا يحبك وتعرف حاله وقد قصد أن تأخذوا منه هذا .

ولم أقل له أنه قال أنه وقف قال : فقال لي : رده إليه أحد يفعل مثل هذا ويوقفه ؟!

قال : فرددته إليه وقلت له كما قال سيدي الشيخ كذا وكذا ؛ قال فقال لي :

---

(١) في النسخة الأخرى : (يحيى) ولم أهتد إليه .

(٢) الدلق : ثوب متسع الاكمام طويلها وقد تقصر وذكر القلقشندي اختصاص القضاة به والعلماء . انظر صبح الاعشى : ٤/ ٤٢ .

رده إليه وقل له يفعل فيه ما يشاء وهو له ملك .

قال : فجئت للشيخ ولم يسألني بل أخذه .

ومن ذلك ما حدثني به أيضا قال : قال لي الشيخ يوما : اذهب إلى فلان بالركن المخلق وقل له إن الثلاثمائة التي راحت منك ما يصيبها شيء .

قال : فذهبت فوجدت الرجل واقفًا حائرًا حزينا فسلمت عليه ثم قلت له مقالة سيدي الشيخ ففرح فنحن كذلك وإذا برجل جاء إليه وسلم عليه ثم قال له ما وقوفك ها هنا ؟

فقال له : كيت وكيت ، وذكر له أمره فقال : تعال فذهب معه وأعطاه فضته بعينها .

قال فلما رأيته بعد ذلك سألته عن كيفية ذلك فقال : إن الذي سلم علي بواب فذهبت به إلى زقاق ثم دق بابا وقال لهم : من كان منكم في الركن المخلق فقالوا : فلان . فقال : يعطي هذا فضته فإنه رجل صالح فأخرجوها لي بعينها .

ومن ذلك ما حدثني به الشيخ الصالح علي نور الدين الدميري [1] قال ذهبت مرة إلى الشيخ وداخلي قراقيش ورغيف طري ولم أعلم بذلك أحدا

---

(١) علي بن يوسف بن مكي بن عبد الله الدميري ثم المصري نور الدين ، الحلبي الأصل ، قدم جده مكي مصر وسكن دميرة ، فولد له بها يوسف فاشتغل بفقه المالكية ، ثم سكن القاهرة وناب عن البرهان الإخنائي وعرف بجلال الدميري وولد ليوسف علي فاشتغل حتى برع في مذهب مالك ، ولم يكن يدري من العلوم شيئا سوى الفقه وكان كثير النقل لغرائب مذهبه شديد المخالفة لأصحابه إلى أن اشتهر صيته بذلك ، وناب في الحكم مدة ثم ولي القضاء استقلالا في أوائل سنة ثلاث . انتهى من الدرر الكامنة ، لابن حجر : ج٤ ، ص :٣٠٥ .

فقال لي ~ تعالى تصدق بالرغيف وكل القراقيش قال وكان ذلك قصدي .

ومن ذلك ما أخبرني به الشيخ الصالح الفاضل سليمان المقري قال : مرضت مرضة شديدة أشرفت فيها على الموت وكنت أغيب في أكثر الأوقات وأقول لهم : إذا أفقت قولوا للشيخ عبد الله يأتي إلي فإنه ما يأبى هذا ؛ قال : ولم يكن عندي من يعرفه فأنا كذلك وإذا به قد جاء فدعا لي وانصرف ؛ فسألت هل ذهب إليه أحد ؟

فقالوا : لا ولا نعلم له مكانًا .

ومن ذلك ما أخبرني به جماعة أن سيدي الشيخ جاء إلى دكان شوي يبيع الشواء [٣١/ أ] فاشترى منه خروفا كما خرج ثم حمله على حمال وخرج به إلى الكيمان وأمر للكلاب يحيطوا به فتعجب من ذلك إلى أن ظهر أنه كان ميتة وذكر لي بعضهم أنه ذكر لسيدي الشيخ هذه الحكاية فأنكرها وقال : ما صدرت مني والله أعلم بالصحة، قلت : ويحتمل أن يريد إنما صدرت بإذن .

ومن ذلك ما حدثني به الشيخ الصالح نور الدين علي المليجي قال مرضت مرة بالمنصورية فجاء إلي سيدي الشيخ وكنت أياما لم أستطع بشراب ولا بطعام فذكرت ذلك له فقال لي تأكل وتشرب قال : فو الله لم يخرج الشيخ من المنصورية حتى أكلت وشربت .

ومن ذلك ما حدثني به العدل المرتضى عبد الله أخو زوجة سيدي الشيخ قال : مشيت مع الشيخ إلى التربة وقت العشاء والشيخ أمامي يتلو القرآن فحصل لي خوف فبمجرد ما حصل لي ذلك كلمني سيدي الشيخ ليزول ما عندي قال : ثم جاءت الكلاب إلينا جارية فخفت أيضا فنظر إليها الشيخ فلم يعو منها كلب وذهب الجميع عنا ببركة الشيخ .

ومن ذلك ما حدثني به العدل المرتضى جمال الدين الفيشي[١] قال : كنت بالقاهرة لقصد الاشتغال فقيل لي : ماتت والدتك فحصل لي على ذلك وجد وخرجت على وجهي فلما وصلت إلى قنطرة الحاجب عدت [٣١/ ب] على نفسي بالملامة وقلت كيف تسافر من غير أن تشاور الشيخ فرجعت إليه وذكرت له ذلك فقال : اجلس لأن الحركة اليوم شديدة وأمك ما ماتت ولا يصيبها المرة شيء ؛ فكان كذلك .

ومن ذلك ما أخبرني به أيضا قال : سافر الفقيه الأجل محمد البقري وانقطع قريب السنة وكان منزلا بمكان فقيل : إنه مات وسعى بعض الناس في مكانه فقلت للشيخ ليتكلم في المكان فقال لي ما أصابه شيء ولعله يأتي في هذين اليومين أو كلاما هذا معناه فكان كذلك .

ومن ذلك ما أخبرني به الفقيه الأجل أبو عبد الله محمد البيائي ابن قاضي ببا قال : ذهبت مرارًا للقاهرة بقصد زيارة الشيخ فكنت أجلس جلوسا طويلا ثم أقول للطلبة : عادة الشيخ يجيء هذا الوقت ؟ فيقولون : بل قبل هذا الوقت بكثير .

قال : فأذهب وأقول في نفسي لعل الشيخ لا يقصد الاجتماع بي .

قال : ثم جئت مرة أخرى وتصدقت بشيء وطلبت من الله الاجتماع به ؛ فجاء وسلم عليَّ فقال : ما هو مثل ما خطر لك وليس ذلك صحيحًا .

ومن ذلك ما حدثني به الشيخ الصالح عبد الرحمن الشمني[٢] قال : لما

---

(١) عبد الله بن محمد الفيشي ، القاضي المالكي ، جمال الدين ، قال ابن حجر في إنباء الغمر (٣/ ١٣١) : ناب في الحكم ولم يكن مرضيًا .

(٢) الشمني بضم المعجمة والميم وتشديد النون نسبة إلى شمنة مزرعة بباب قسطنطينية من الجزائر .

جئت من الغرب أودعت ما معي من أثاث ومتاع عند بعض المغاربة وذهبت لآتي بالأهل فلما جئت بهم لم أجد من أودعت عنده بالمكان الذي تركته ولم أدل على مكانه ؛ فحصل [٣٢/ أ] لي أمر عظيم فذهبت فمرضت لأجل نفسي والعيال لكوني ما معي شيء آخر ؛ فجلست بمكان في القرافة وقعدت ثلاثة أيام لم أستطعم بطعام فدخلت عليَّ جارية وقلت لها : أطلب منك سلف خمسة دراهم لأشتري بها شيئا نقتات به فإن عشت وفيتك وإلا كان أجرك على الله تعالى قال : ففعلت .

ثم قيل لي : عليك بالشيخ عبد الله المنوفي ؛ فإنه صالح هذه الأرض ؛ قال : فاشتريت للأهل بدرهم ونصف ما اقتاتوا به وأكلت معهم ثم ركبت وقصدت الشيخ ؛ وقلت في نفسي إن كان هذا الرجل صالحا كما يقولون فهو يخبرني بمتاعي ، ويخبرني بأني هل أرجع إلى بلادي ، وهل أجد أبوي ، وهل إن ذهبت يصح لي عودة لهذا البلاد ؟

قال : وقلت في نفسي وإن لم يكن صالحا فإنه لا يخبرني بشيء ؛ قال : ولم أكن أعلم حال الشيخ ؛ فجئت للصالحية وطلعت لبيته فإذا هو يدرس وعنده نحو الخمسة من الطلبة فسلمت فرد السلام ثم نظر إلي طويلا ثم قرر في المسائل للطلبة فلما قرر نحو المسألتين أذن الظهر فغلقت الطلبة كتبهم ونزلوا لصلاة الظهر فنظر إلي الشيخ فقال لي : حاج عبد الرحمن ؛ فناداني باسمي ولم أكن اجتمعت به ، ثم قال لي : خاطرك متشوش من جهة متاعك ؟

قلت : نعم .

قال لي : تجده ولكن بعد أن يحصل لك شيء من نَسخ ، وتذهب لبلدك وتجد

أبويك ثم تعود لهذه البلاد .

قال : فخرجت من عنده وقد حصل لي حال .

فوجدت مسمرا [1] فحصل [٣٢/ ب] لي فزع لكونه لم يكن ببلادنا فدخلت في زقاق فإذا هو سوق الكتب فناداني شخص منه ودفع إلي ثلاثين درهما بسبب نسخ رسائل ولم يكن لي به معرفة .

قال : ثم خرجت فوجدت الذي أودعته فذهبت وأخذت متاعي منه وكان الأمر كما ذكر الشيخ في العود للبلد ووجود الأبوين والعود لهذه البلاد .

ومن ذلك ما حدثني به الفقيه الصالح محمد ابن قاضي ببا قال : ودخلت على سيدي أحمد الإبواني في مرضه الذي مات فيه فقال : ما حس سيدي أحمد ـ يعني ابن سيدي الشيخ أبي عبد الله ابن الحاج ؟

قال : فقلت : هو ضعيف ضعفا شديدا .

قال : وما حس سيدي محمد ـ يعني أخوه ؟

فقلت : ضعيف ولكنه أقل من سيدي أحمد .

فقال لي : سيدي أحمد ما يصيبه المرة شيء .

قال : فقلت له لم قلت هذا ؟

قال : لأن سيدي عبد الله المنوفي ذكر لي أنه ما يموت حتى يكبر شأنه وينتفع به ناس كثيرون . وكان كذلك .

ومن ذلك ما حدثني به القاضي الأجل المحترم حمزة نجم الدين وهو من

---

(١) التسمير هو أن يوضع من عليه عقوبة على جمل يربط بخشبة ويشهر به .

كبار أصحاب سيدي الشيخ الأخصاء به قال : وكان لأهلي خطابة الخندق فشغرت الخطابة المذكورة فسعى فيها شخص من جهة المقر الأشرف بشتاك وشخص من جهة المقر الأشرف قوصون وكانا أكبر أمير بمصر وشخص من جهة الفقير إلى الله تعالى قاضي القضاة جمال الدين الشافعي صاحب تلخيص المفتاح وشخص [٣٣/ أ] من جهة الأمير الأجل الذكر وسعى فيها القاضي الأجل شهاب الدين بن الأعز لنفسه وطلع لسيدي الشيخ ليطلب خاطره فلما طلب منه ذلك قال له سيدي الشيخ : الخطابة لنجم الدين ؛ وربما نفر فيه .

وقد كان قال ذلك لبعض الجماعة قبل طلوعه ، قال : فحصل السعي العظيم من جهة كل واحد ثم حضرنا بين يدي السلطان الملك الناصر ابن الملك المنصور فقال : أنا ما أوليها لأحد منكم وعندي شخص أوليها له ثم صرفهم وولانيها وكان ذلك ببركة سيدي الشيخ وقوله .

ومن ذلك ما حدثني به أيضا قال : جيء للشيخ بخمس مائة ليفرقها فقال لي : خذها وشلها [١] عندك لوقت الضرورة .

فقلت له : يا سيدي لم لا تخليها عندك ؟

فقال : لأني إذا خليتها هنا راحت وإن وديتها البيت يقولون : إنها لي .

قال : فأخذتها ثم طلب سيدي الشيخ منها شيئا بعد شيء بحسب الضرورة ثم قال لي تصدق منها فتصدقت منها ثم جاءني بعض الشهود وشكا لي فأعطيته منها خمسة دراهم ، ثم جئت للشيخ وذكرت له ذلك الشاهد فقال لي : لا تعط هذا شيئا فإنه غير مستحق ؛ وكان كذلك .

---

(١) في النسخة الأخرى (مثلها)

ومن ذلك ما أخبرني به غير واحد أنهم كان يحصل لهم الخاطر إما في العلم وإما في غيره بمجرد حضوره يحدثهم عنه .

ومن ذلك ما أخبرني به غير واحد أنه قال لسيدي الشيخ الصالح الأحمد الإبواني [٣٣/ ب] وهو صهر سيدي الشيخ الصالح الزاهد أحمد ابن سيدي الشيخ الصالح العارف بالله أبي عبد الله بن الحاج وذلك أنه كان مقارضًا لإنسان فاشترى سواسي[١] وقصرها وأودعها عند شخص ـ زاد بعضهم ووضع مع ذلك مصاغا لزوجته ـ فجاءه من عند من أودع القماش عنده ـ كتابٌ بأن القماش سرق مع جملة حوائجي فدخل لسيدي الشيخ فقال : اذهب في هذه الساعة .

فذهب فأدخله ذلك الرجل البيت وأراه نقبا فسكت ولم يزل مفكرا في أمر الشيخ له إلى أن نام فرأى الشيخ جاء إلى البيت المنقوب ثم تعرى وذهب إلى خزانة في البيت حفرها وشال ترابا ثم شال شقفا كثيرة ثم أطلع صناديق ففتحها فإذا فيها السواسي فقام وأحضر أهل البيت[٢] وفعل كما رأى الشيخ فعل فوجدهن ثم جاء ليحكي للشيخ فقال له سيدي الشيخ : اسكت وسكته ؛ وزاد بعض الطلبة وقال إنما قلت اذهب لئلا ينقلوها من ذلك الموضع .

ومن ذلك ما رويته أنا وغيري أنه حين قرب موته أرسل الكتب المستعارة عنده إلى أربابها وتأهب للموت غاية التأهب .

---

(١) كذا في النسختين بالمهملة ولعلها شواشي اسم لما يوضع على الرأس .

(٢) في النسخة الأخرى (البلد)

ومن ذلك ما ذكره القاضي الأجل المحترم علاء الدين محتسب القاهرة وقاضي العسكر ~ تعالى قال : لما حصل الفناء وأراد الناس أن يخرجوا ليدعوا ربهم جئت إلى سيدي الشيخ وأرسلت له وطلبت [٣٤/ أ] منه الحضور مع الناس فقال لي : نعم أنا أكون معهم في ذلك اليوم ولكن لا أظهر .

فكان ذلك يوم موته قال : ففهمت أنه أشار إلى خفائه عنهم بالكفن .

ومن ذلك ما حدثني به القاضي الأجل تاج الدين بن أحمد بن شاهد الجمالي وهو من جملة أصحاب سيدي الشيخ قال : قال لي الشيخ يوما : قم لعل الله تعالى يحصل لك إعادة .

قال : فقمت وحصلت لي إعادة بالمنصورية .

ومن ذلك ما ذكره بعض الفقهاء والصلحاء قال : قصدت زيارة الشيخ مرارًا من قليوب ، فقصدت زوجتي أن تزوره قال : فقلت لها : أنا ما أقدر أتهجم على الشيخ بك ، ولكن اذهبي معي واجلسي على إيوان الصالحية ، ثم أطلع له وأسلم عليه وأقول له عنك ؛ فقالت : نعم فدخلت وصليت ركعتين في الإيوان وهي جالسة ؛ فنزل سيدي الشيخ ، ودار على الفسقية مرارًا حتى تحققته فلما فرغتُ من الصلاة قلت لها : هذا هو الشيخ ؛ ثم سلمت عليه ، وجاء لها .

ومن ذلك ما حدثني به الشيخ الصالح محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال : سافر والدي مع الشيخ للحجاز الشريف فحمل الجمال يوما تحميلا غير جيد فقال له سيدي الشيخ على ذلك فانتهره وسبه فسكت الشيخ ولم يتكلم ثم بعد ذلك الشيخ يمشي وإذا بالعبد الفقير إلى الله تعالى قاضي المسلمين بدر الدين بن

جماعة وأمير الركب جاءا وسلما [٣٤/ ب] على سيدي الشيخ وأكرماه قال فحصل للحمال هلع عظيم وخاف أن يؤذيه الشيخ ولم يعلم بذلك أحد فجاء الشيخ له وطيب قلبه فكان في ذلك مكاشفة منه ~ تعالى ورفق منه بالمذكور

ومن ذلك ما حدثني به الفقيه الصالح عبد الله المقرئ الضرير الزينبي قال : لما بنيت خانقاه طغيتمر النجمي جئت إلى سيدي الشيخ ليتكلم لي في النزول فيها ؛ فوضع للفقراء الأكل قال : وكنت مع آخر فتقدمنا وأكلنا ؛ ثم قلت في نفسي لعلي أكتفي بالقليل وأترك ذلك للفقراء ؛ فرفعت يدي فقال لي الشيخ : نحن نحب من يأكل .

فأكلت حتى شبعت ثم رفع الشيخ كتابًا ووضع كتابًا وقال لبعضهم اقرأ هذا الموضع ولم تكن عادتهم في ذلك الوقت قراءة مثل ذلك قال : فإذا فيه سبب توبة بعض الكبار .

وذكر فيه أنه اختلف في ذلك على قولين :

أحدهما : أنه سافر في تجارة إلى بعض بلاد الكفر الذين يعبدون الصليب والمسيح فلما وصلوا لم يجدوا من يتكلم بالكلام العربي إلا كبيرهم فسألناهم عما يعبدون فأخبرونا بذلك ثم سألونا فقلنا نحن نعبد من خلق السموات والأرض ، ويرزق العباد ويحيي الخلقُ ويميتهم ، قال : فقال الكبير : عجبا لكم إنكم تقولون أنكم تعبدون الذي يرزق الخلق فهو ما كان يرزقكم وأنتم في بلادكم .

قلنا : نعم . قال : فلم جئتم ، الذي كان يرزقكم هناك هو يرزقكم هنا ؟ أو كما قال ـ فكررها [٣٥/ أ] الشيخ فقلت له : يا سيدي يكفي .

وعلمت أنه إنما جاء بذلك لأجلي وقمت ولم أذكر له شيئا .

ومن ذلك ما حدثني به أيضا قال لما بني جامع المقر الأشرف آق سنقر الناصري جئت إليه لطلب أن يرسل له لينزلني به قال فجئت ووجدت الناس عنده مزدحمة فوقفت بعيدا خارج البيت وإذا به قد أتى إلي وسلم ثم قال : لك حاجة ؟

فذكرت ذلك له فقال لي : ومن أنا [ما] أنا إلا فقير ترابي ، وأنا لو فتحت على نفسي هذا الباب ما قدرت أنت ولا مثلك على الاجتماع بي ثم لا يزال يكرر ذلك حتى بكى الشيخ وبكيت أنا ووددت أني لم أذكر للشيخ شيئا وعزبت نيتي عن ذلك .

ومن ذلك ما ذكره لي الفقيه الصالح محمد زكي الدين وهو من جملة أصحاب سيدي الشيخ قال أضاف الشيخ ابن السربائي[1] وكان حينئذ فقيرًا فعمل للشيخ دجاجتين واعتقدُ أنه لم يكن عنده غيرهم ثم جئت أنا وسيدي الشيخ فوضع الدجاجتين وكان في رمضان فبمجرد وضعهما أخذ سيدي الشيخ واحدة وقال له وديها للبيت يأكلونها فكانت منه مكاشفة بعلمه بحاله وحالهم .

ومن ذلك ما ذكره أيضا قال دفع لي الشيخ قبل مرضه الذي مات فيه فضة لأفرقها ففرقت بعضها ثم مرض الشيخ فقلت في نفسي ما بقيت أقدر أصرف في البقية حتى أنظر ما يكون من أمر الشيخ ووقع في نفسي أنه إذا [٣٥/ أ] مات أعطيها لأولاده فجئت لسيدي وما كان يكلم أحدا ذلك الوقت لشدة ما هو فيه فلما سلمت عليه قال لي : أنفق بقية تلك الفضة وخاطرك طيب فعلمت أنه علم ما في نفسي .

---

(١) لم أهتد إليه والسربائي نسبة لقرية قرب طندتا تسمى سربباي .